

## هنري علاق والثورة الجزائرية:النضال والمواقف

أ. موسى لوصيف

جامعة قسنطينة 2



### ملخص:

يتناول المقال بالدراسة والتحليل دور هنري علاق في الثورة الجزائرية 1954-1962، حيث كان من أبرز المثقفين الفرنسيين المساندين للقضية الجزائرية في مواقفه وآرائه الراضة للتعذيب والتقتيل الممارس على الجزائريين، وهنا سأتطرق إلى مؤلفاته مثل كتاب "المسألة" ' La Question ' وكتاب "المذكرات"، ونضاله إلى جانب الجزائريين حيث تعرض إلى المضايقات، والتي تحولت إلى المتابعة والبحث من قبل الجيش الفرنسي والدولة الفرنسية.

**الكلمات المفتاحية:** هنري علاق، الثورة الجزائرية، المثقفين، المضايقات، النضال

### Summary:

The topic with study and analysis deals about the role of Henry Alleg in the Algerian liberation war 1954-1962, that he was supporters of the Algerian cause, his principals and opinions refused the massacres and crimes practiced on the Algerians.

Then, I am going to mention some titles of his works, such as "the Question", and the "Memories".

Henry Alleg fought with the Algerians and he was exposed to pressure, then he was wanted by the French navy and France.

**Key words :** Henri Alleg -Algérien révolution - intellectuel - Persecution - Fight

## مقدمة:

هو من المثقفين الفرنسيين الذين ساندوا الثورة التحريرية الجزائرية، حيث تطرق إلى المحن والمآسي التي عاشها في سجون الاستعمار الفرنسي في الجزائر نتيجة مساندته لها، وقد فضح في شهادته التعذيب الذي تعرض له في السجون والمعتقلات، والتي كانت تحت إدارة فرقة المظليين الفرنسيين المعروفين بقسوتهم وفضاعتهم.

## هنري علاق وإنسانية الثورة الجزائرية:

ساهم هنري علاق في دفع الرأي العالمي في اتجاه مساندة الثورة الجزائرية بفضل موقف جريء ضد التعذيب، وقام بتأليف كتاب يفضح التجاوزات غير الإنسانية في حق الفدائيين الجزائريين، وأعطى علاق الثورة بعدها الإنساني، وجعلها تتغلغل في أوساط المثقفين والناشطين السياسيين عبر العالم، كان علاق بمثابة صوت منفرد في فترة عصيبة تميزت بطغيان عقلية استعمارية، وسار على خطى سارتر الذي كان يعتقد أن كل من لم يجرؤ على فضح التعذيب في الجزائر لن يكون له ضمير سالم، وقال مقولته الشهيرة 'إننا قذرون، إن ضمائرنا لم تعكر وهي مع ذلك مبليلة وحكامنا يعرفون ذلك حق المعرفة'<sup>1</sup>.

كان جون بول سارتر يعتقد أن الاستعمار هو عبارة عن نظام ساهم المناضل هنري علاق في تفكيك أسسه وأركانه، عبر فضح تجاوزاته وخروقاته، وإظهاره في صورة نظام غير إنساني وغير عادل، اقترب علاق من سارتر وكان أحد تلامذته، وجعل من أفكاره حول التحرر من الاستعمار قضية جوهرية.

جاءت قوة هنري علاق وقدرته على التأثير من الدعم المباشر الذي حظي به من قبل سارتر، عقب نشره كتاب الاستجاب، نصح سارتر الناس بقراءة الكتاب الذي يسرد الحقائق التي يشتمز منها الإنسان من أنواع التعذيب التي تمارس بشكل جنوني، وقد عانى منها هذا السجين نفسه، رغم أن الجلادين لم ينتزعوا منه أية معلومة رغم القهر والتمثيل به جسدا ونفسا، ظل هنري علاق قريبا من الجزائر بفضل التزامه، وروحه الإنسانية، وقدرته على جعل التاريخ يسير في الاتجاه الصحيح<sup>2</sup>.

**سيرة وحياة المناضل:** هنري علاق مناضل يساري فرنسي من أصول يهودية، وهو ينحدر من أسرة بولونية، بعد حصوله على شهادة البكالوريا، انضم إلى جامعة السربون وتخرج منها بشهادة ليسانس في الآداب، كان لقاءه بالجزائر مجرد صدفة، بعد رحلة أخذته إلى البحر الأبيض المتوسط، استقر في الجزائر سنة 1939، أين نزل بفندق بحري القصبية وهناك احتك أكثر بالشعب الجزائري فاكشف شابا محبا للحياة والعمل وشعبا حيويا، كما وقف على ممارسات استعمارية شنيعة ضد الجزائريين وتمييزا عنصريا كان ضحاياه جزائريون.

مروره بالجزائر لم يكن مخططا له، يقول الباحث، إلا أنه أغرم بالشعب وحفاوته وبساطته رغم الظروف الصعبة التي فرضها الاستعمار وهي أسباب دفعته إلى الاستقرار بالجزائر، أراد أن يتعرف أكثر على هذا الشعب وانغمس في حياته الاجتماعية والثقافية والسياسية، وقد عرف علاق بمعاداته لنظام الجنرال فيشي، انضم إلى الحزب الشيوعي الجزائري، وكانت له تجربة غنية في ميدان الصحافة من خلال نضاله في جريدة 'الجزائر الجمهورية'<sup>3</sup>.

بعد نهاية الحرب العالمية الثانية التحق علاق كصحفي بجريدة 'ألجيرى ريبليكان'، التي لم تكن لسان حال الشيوعيين فقط بل كل التيارات المطالبة بالحقوق، وهي جريدة كان يمولها تجار الطبقة البرجوازية، وكغيره من الشخصيات الأوروبية التي تضامنت مع الثورة الجزائرية وخدمتها بنبل وشجاعة، لم ينل حقه من التكريم، وهو ليس وحده في دائرة الإجحاف هذه، فالكثير

من الشخصيات الأوروبية لم تنل حقها التكريم والاعتراف، حتى جماعة حملة الحقايب التابعة لشبكة جونسون لم تنل من التكريم والاحترام ما يليق بما قامت به من تضامن فعلي مع الثورة الجزائرية، وصل إلى درجة النضال وحمل السلاح إلى جانب الجزائريين 4.

كتاب القضية ' La question ': اختراق مأساة التعذيب

لقد أثار كتاب القضية لهذا المناضل لدى صدوره كثيرا من النقاش والاهتمام الإعلامي والأكاديمي في الغرب، لأنه وصف ضمن أدب السجون والتعذيب 5، من منطلق الرواية والمشاركة في الأحداث، لأنه يبين مقاومته للعذاب والألم وتحديه للجلادين مركزا على شجاعته وبسالته ورفضه للاستسلام، كما أكد على فضح الاستعمار.

يعد كتاب القضية من بين الشهادات التي ساعدت على كشف المسكوت عنه، فيما يخص التعذيب الذي كانت تمارسه مجموعة من الضباط الفرنسيين تجاه المناضلين الجزائريين، أو المساندين الأوروبيين وغيرهم لثورة التحرير الجزائرية.

كتب المناضل هنري علاق تجربته التي عاشها في سجون المستعمر الفرنسي، بداية من شهر جوان 1957، بالدم والألم والعذاب، وذلك بعد ملاحقة أصحاب جميع الأقسام التي كتبت في جريدة ' الجزائر الجمهورية ' التي كان يشرف عليها، فعاش علاق متخفيا مع المجاهدين الجزائريين إلى أن ألقى عليه القبض جنود مظليون تابعون للفرقة المظلية العاشرة، يوم 12 جوان 1957 في منزل صديقه موريس أودين، الذي اعتقل ومات تحت التعذيب في ظروف غامضة، ولا يعرف مكان لجثته، ولا كيف تمت تصفيته وأين؟ كل ما نعرف كما يقول هنري علاق هو أنه ' مات مثل الكثير من المناضلين في ظروف غامضة تحت التعذيب.. ' 6.

وهدف المستعمر هو تخويف المناضلين الأوروبيين لكي يمتنعوا عن تأييدهم للثورة الجزائرية، إذ يقدم الكاتب رقما يقدره بأكثر من ثلاثة آلاف شهيد 7، لا يعرف أين دفنوا، ماتوا إما تحت التعذيب، أو رميا من الطائرات، أو تم وضعهم في إطار إسمنتي قذف بهم في أعماق البحار لكي لا ترى أجسادهم.

صدر كتاب القضية شهر فيفري عام 1958، يقع في 111 صفحة من الحجم المتوسط، حيث كان هنري علاق يكتب يوميا عدة صفحات بكثير من الخوف، وبعيدا عن أنظار الحراس، بعد أن لقي تشجيعا من قبل مجموعة من الأصدقاء وبعض محاميه الذين حرصوه على فضح الأشياء، وعندما أتم المسودة أرسلها إلى منشورات ' Minuit '، التي كان يديرها السيد ' Lindon J'rame ' الذي عرف بشجاعته وبرغبته في نشر نصوص صادقة منطلقة من الواقع.

ورغم الخوف وتهديد الإدارة الاستعمارية له ولكل من يتطرق إلى قضايا مثل هذه، وهي تمس ضباطا ومسؤولين مهمين في الدولة، كانت الإدارة تهدد كل من يقدم على أعمال كهذه بغلق مؤسساتهم وأحيانا يودع بهم في السجون، لكن مدير هذه الدار تحدى كل ذلك واختار نشر الكتاب، إذ بيع منه خلال الأسابيع الأولى أكثر من ستين ألف نسخة، إلا أن الإدارة منعت، فكان الناس يصورونه ويرسلونه لأصدقائهم أو ينصحون الناس بقراءته.

كما أصدرته جريدة ' لو كانارد أنشيني ' في أحد أعدادها 8، ولكن بخط صغير لا يقرأ بسهولة، كما أعاد طباعته ناشر سويسري، الشيء الذي يبين بأن الكتاب جذب أنظار الرأي العام الفرنسي والعالمي، وهو كتاب لم يكن محصورا في المناضلين، بل كانت رغبة المؤلف هو أن يصل إلى أكبر شريحة اجتماعية، حيث صرح قائلا: "ها أنا كتبت حكايتي. ولم يسبق لي أبدا أن كتبت بهذه الصعوبة وبهذا الجهد الجهيد. ربما لأن الألم ما زال حارا في ذاكرتي، أو ربما لأن هذا الكابوس الذي عشت أهواله والذي يعيشه في هذه اللحظة التي أكتب فيها أشخاص آخرون، وسيعيشه آخرون حتما ما لم تتوقف هذه الحرب الكريهة، كان علي أن أقول كل ما أعرف. وأنا مدين بهذه الكتابة إلى موريس أودان "9.

وكان موريس أودان رفيق علاق وصديقه وزميله الذي اعتقله الجيش وقد قال فيه ' إنني أكتب له وإلى كل الذين أهينوا وغدّبوا وهم يواصلون الكفاح بكل شجاعة وبطولة، مدين به إلى كل الذين يموتون كل يوم في سبيل حرية بلدهم' ثم يواصل قائلاً: " كتبت حكايتي بعد أربعة أشهر من تعذيبي على يد المظليين في الزنزانة رقم 72 في سجن بربوس سجن الجزائر المدني"، كان لهذا الكتاب أثر كبير، استجاب له الكثير من المثقفين وعلى رأسهم جان بول سارتر وموريك وأندرية مالرو، وآخرون راحوا ينددون بالقمع الذي يمارس ضد المناضلين الجزائريين في السجون الاستعمارية، كما راحوا يكتبون وينظمون لقاءات حول الموضوع، فأرسلوا وثيقة إلى رئيس الجمهورية في ذلك الوقت وقع عليها مجموعة هامة من المثقفين الفرنسيين.

كان هنري علاق مدير تحرير جريدة 'الجزائر الجمهورية' لسان حال الحزب الشيوعي الجزائري، وكانت معروفة بمواقفها بالتنديد وفضح الاستعمار، كما كانت تفتح صفحاتها إلى كل مؤيد لاستقلال الجزائر، مما أزعج الإدارة الفرنسية التي ألقت القبض على الكثير من مسؤولي الجريدة، أثناء معركة الجزائر العاصمة، التي يؤكد الكاتب بأن الاستعمار استعملها وهولها للقضاء على المناضلين.

وهو يرى بأنها لم تكن معركة كما أطلق عليها الاستعمار الذي أعطاهها هذه العبارة تعسفاً، بل يرى بأنها ' كانت خطة جهنمية استعملها بعض الضباط لكي يوهوا الفرنسيين بأن هناك حرباً بينهم وبين سكان العاصمة، استعملوها للقضاء على الكثير من الجزائريين شيوخاً ونساء وأطفالاً ومناضلين '10، حتى أن القمع كان سيد الموقف في العاصمة وأحوازها، مما دفع بالكثير من المناضلين بالتنديد وفضح هذه الجريمة المنظمة، كما أعطى لهؤلاء الضباط إمكانية شد الخناق أكثر على الجزائريين بالأساس، حيث تم سجن الآلاف من بينهم الكثير من الأوروبيين المساندين للثورة.

هنري علاق والتعذيب:

تحدثت الكاتبة رافانيل برانش في كتابها التعذيب وممارسات الجيش الفرنسي أثناء ثورة التحرير الجزائرية والذي ترجم من قبل أحمد بن محمد عن أهم المراحل التي مرت بها الحرب بداية بإبراز الأوجه الجديدة التي اتخذتها الحرب 1954-1956، وتطرق في الكاتبة إلى طرق ممارسة التعذيب من قبل الجيش الفرنسي بين نوفمبر 1954 ومارس 1962 حيث اعتبرت "رافانيل برانش" التعذيب وقتها، وسيلة حرب وعنيفة مقصود يراد به كسب النزاع والحرب في الجزائر فهو مباشرة يعتبر من أوضاع تسودها علاقة قوة وأشارت الكاتبة إلى الآلة الجهنمية التي كانت تساعد على اندلاع الصراع المسلح وهي القوة المتواجدة بيد الدولة الأم زيادة على ذلك الأداة الحاسمة المؤكدة إلى الضحايا تطبيقاً لليد العليا الطاغية عليهم، ثم تطرقت الكاتبة إلى اكتشاف التعذيب وتطوره في هذه الحرب طيلة 8 سنوات فقد احتل مكانته بجانب وسائل العنف الغير مشروعة الأخرى، وبعد أن ارتبط التعذيب بتصور جديد للحرب ابتداء من 1957 تحول بسرعة ليصبح السلاح الأساس في الصراع الذي كان يستهدف الجزائريين 11.

وكان المناضل علاق من ضمن هؤلاء الذين ناضلوا من أجل فضح ممارسات الإدارة الاستعمارية، فقبض عليه وأودع السجن، أو كما يقول في مصنع التعذيب الكائن بمنطقة الأبيار، إذ أذاقهم الأذى الممنهج، ماداموا قد رفضوا التعاون مع المستعمر وأذنابه، هذا ما يؤكد الكاتب حينما طلب منه المظلي شاربونييه 12 charbonnier قائلاً له: ' أنت صحافي؟ لذا يجب أن تفهم بأننا نريد أن نعرف كل شيء أو أن تكون على دراية، يجب أن تعلمنا!'

بعد أن القي القبض على علاق، راحت مجموعة من الضباط تسأله كي تعرف أين قضى أيامه هروبه من سكنه، ودخل حياة السرية، وعن أولئك الذين ساعدوه، فكان يرفض البوح و التعامل معهم، رغم أنهم كانوا يهددونه حتى بتعذيب زوجته جيلبيرت وأولاده إذ ما واصل في تعنته! هل تفكر بأن أولادك محميون لأنهم في فرنسا، إننا نستطيع الجيء بهم متى أردنا ' 13.

كان يعرف بأنهم قادرون على فعل الشر، كما فعلوا مع زوجات بعض المناضلين، لكنه أصر على ألا يجيب عن أسئلتهم، فما كان كل من أرلان وشاربونييه إلى أن أعطيا أوامرهما بتعذيبه، إذ يقول: "كان شاربونييه يعذبني بالكهرباء، رافعا صوته مرددا نفس الكلام أين قضيت ليلتك قبل أن يتم توقيفك، كما كانوا يأخذون وقودا يشعلونها ويضعونها على صدري وأطراف أصابع رجلي، ومن كثرة الألم أصبحت لا أحس مما أزعجهم كثيرا'14.

يصف المؤلف فترات التعذيب بقوله 'لوح جاكه المبتسم دائما أمام عيني بالمقابس الموجودة في نهاية المساري الكهربائية، مقابس صغيرة من المعدن اللامع، ومزركشة. ثبتت أحدها على صيوان أذني اليمين، والآخر في أصبع الجانب نفسه. فجأة، ففرت في أصفادي وصرخت بملء صوتي' ثم يواصل واصفا هذا الجحيم 'كان شاربونييه قد أرسل في جسدي أول شحنة كهربائية، كانت شرارة طويلة قد صدرت قرب أذني وأحسست بقلبي يقفز في صدري. تلويت صارخا وتصلبت حتى جرحت نفسي، في حين كانت الذبذبات الكهربائية تتوالى دون توقف بإيعاز من شاربونييه، والمولد المغناطيسي في يده بالإيقاع نفسه.

كان يكرر سؤالاً واحدا وهو يوقع مقاطع الكلمات 'أين كنت تقييم؟ بين هزتين، كنت أستدير نحوه وأقول 'أنت مخطيء، سوف تندم!' ثار شاربونييه، فأدار معدلة المولد إلى الحد الأقصى قائلاً 'في كل مرة تقدم لي المواعظ، لكن كل هذا لم يشبع وحشيتهم لأن علاق واصل مؤكدا 'وفي حين واصلت الصراخ، قال لجاكيه 'يا إلهي، كم هو صخّاب! ضع كامامة في فمه!' فكور يد جاكه قميصي ثم حشره في فمي وبدأت المعاناة الرهيبة. كنت أضغط على القماش بكل قواي وأجد في ذلك ما يشبه الراحة'15.

كما منع من الأكل والشرب، ووعده بإطالة مدة التعذيب وابتكار فنيات أخرى، وضعا له الكهرباء داخل فمه، حتى جف ريقه، وحينما عرفوا بأنه وصل إلى طريقة لا تحمل من العطش، أعطوه كمية ماء كانت شديدة الملوحة، و هكذا كانت حلقات العذاب تتواصل لا تتشابه، لأنهم جربوا معه كل الإمكانيات من التجويع والعطش والإهانة، ناهيك عن موجات الكهرباء. غير أنه لم يقل أي كلمة، حتى أن الجنرال 'ماسو'16 المعروف زاره في سجنه واقترح عليه أن يتكلم، ويجيب عن أسئلته، وإلا فإنه سيزيده عذابا، لكنه بقي صامتا صامدا متحديا إياهم، فحولوه إلى مكان آخر ووضعوه بالقرب من خزانة، وراحوا يعطونه قليلا من الماء معترفين بأنهم تجاوزوا حدودهم في تعذيبه، حتى أن بعض الجنود اغتاطوا لحالته، فنصحوه بالكلام، وأحدهم اعترف له بشجاعته ومواصلة الصمت وعدم فضح أصدقائه، طلب منه علاق أي يوم نحن؟ الجمعة أجاب الجندي، إنني في التعذيب المتواصل دون توقف منذ يوم الأربعاء، ثم يتكلم عن الأصوات التي كانت تصله من جراء التعذيب، حتى خيل إليه أن يسمع صوت زوجته جيلبيرت، ووصف الحالة التي كانت تغزو المكان بوحشيتها ومأساتها، دون أي رافة أو إنسانية.

يقول علاق لا أنسى ذات ليلة عندما جاءني الضابط شاربونييه وأمرني بتحضير نفسي ثم طلب مني موها أباي، قائلا 'احضروا أودان وحجاجي، لنأخذ كل واحد منهم على حدة'17، لكنه كان ثابتا مقتنعا بأنه مستعد لدفع الغالي والنفيس من أجل مثله ومبادئه ومن أجل رفاقه في النضال.

يرى علاق بأن الجلادين لم تكن لهم قلوب، أو أنها ماتت، لأنهم أصبحوا يتلذذون بما يقومون به، وأصبح التعذيب مهنتهم اليومية، وحتى طبيب السجن راح يوهمه بإنسانيته، وذلك بإقناعه بالبوح وإلا فإنهم يستعملون معه 'التعذيب العلمي' الذي كان يشرف عليه هذا الطبيب. أعطاه جرعة من المخدرات على شكل دواء، غير أن هنري علاق وضعها تحت لسانه موها الطبيب بأنه تناول الجرعة التي سلمت له، ثم بصقها، فراح الطبيب يختبر إدراكه رويدا رويدا، إذ طرح عليه مجموعة من الأسئلة حتى يعرف أين قضى أيامه الأخيرة قبل أن يتم إيقافه، وكانت أسئلته متمحورة حول مكان وجود الرفاق يقول 'رحت أحييه بثقة محاولا

التحدث بطمأنينة وبضبط النفس، فكان الضابط يعطيه عنوانا غلطاً لكي يوهمه بأنه يعرف مكان تواجدهم منتظرا من علاق أن يصحح له غلطته، لكنه عرف اللعبة رغم كمية المخدرات التي وضعوها هذه المرة في جسده عبر محقنة. هذه المخدرات التي أثرت في نفسه حتى بدأ يفكر في الانتحار، لكنه استعاد وعيه وعرف أنه لو يقدم على ذلك، فهو سيحقق أمنية جلاديه. وفي الغد طرح عليه أحد الضباط السؤال التالي: هل تعذبت خلال المقاومة بنفس الحدة، فرد عليه، لا إنما المرة الأولى، فأجابه جميل، ثم قال كعارف، إنك قوي' 18 كما جاءه عسكري آخر وقال له: ' لقد حضرت كل فترة تعديك، والذي حدثني عن شجاعة الشيوخ أثناء المقاومة، إنهم يفضلون الموت، لكنهم لا يصرحون بشيء، وهذا موقف بطولي ورائع' 19.

يقر بأن مكان تواجده في حقيقة الأمر ليس مركزاً للتعذيب فحسب، بل كان بمثابة مدرسة لتعويد وتعليم الشباب الفرنسي على طرق تعذيب الجزائريين. من ضمن النقاشات التي سجلها في كتابه مع الضباط الذين كانوا يستعملون معه كل الطرق للوصول إلى غايتهم، حوار مع أحدهم الذي أعلن له بكل صراحة عن رغبته في أن تنتقل هذه الحرب إلى بلدان أخرى كتونس والمغرب، لأنه نادم على أن الحملة الفرنسية بقيادة نابليون لم تؤدي إلى انفلات عام، حيث أظهر حقه الاستعماري الدفين للجزائريين، الذين كان هنري علاق واحداً منهم لأنه انتسب إلى قضيتهم والتحق بالجزائر قادماً من باريس سنة 1939، تزوج من المناضلة جيلبيرت عام 1946، وتقلد رئاسة تحرير جريدة الجزائر الجمهورية، حتى قبض عليه.

كانت رغبة هذا الضابط هو التخلص من علاق، كونه هدده بذبحه بسكين ذات ليلة. وكانت كلماته تتجسد في الواقع حينما كان يعذب المواطنين الجزائريين الذين كانوا يأتون بهم إلى السجن وهم في لباس النوم، أو بدون أحذية، إذ كانت قلوب المعذبين مثل الحجر الأصم، وأصبحوا بدون إنسانية، وكأنهم يتلذذون بتعذيب الجزائريين، كما كانوا يظهرون احتقارهم بتشديد العذاب على المسلمين ويأظهار عنصريتهم تجاههم وكان المسلمون حينما يلتقون بعلاق في السجن يجيونه لأنهم كانوا قد التقوه في المظاهرات التي كانت تدعو إليها الجريدة، أو قرؤوا كتاباته، ' كنت أقرأ في عيونهم تضامنهم معي، وصدقة تدفني بالشعور بالافتخار كوني أوروبياً وقف بجانبهم' 20.

قضى علاق في فيلا سوسيني بالأبيار شهراً تقريباً، حيث ذاق أصناف العذاب لكي ينتزع منه المحققون معلومات عن الجزائريين المجاهدين وبخاصة عن الفرنسيين المتعاونين معهم وذلك تحت تأثير مادة كانت تحقن في ضلوعه. هنري علاق والسجون:

نقل بعد إلى سجن لودي بمدينة المدية، حيث بقي شهراً آخر، ومنها إلى سجن بربروس، وهو سجن الجزائر المدني، وحكم عليه بعشر سنين سجناً، لأنه حسب الإدارة الفرنسية كان يشكل خطراً على أمن الدولة، ثم نقل إلى سجن بمدينة رين الفرنسية وذات يوم وهم يأخذونه إلى مستشفى المدينة، انتهاز فرصة اشتغال حراسه وفر من المستشفى بمساعدة من بعض رفاقه، وذهب إلى تشيكوسلوفاكيا ثم عاد إلى الجزائر بعد اتفاقية إيفيان، وغادرها بعد الانقلاب الذي قام به بومدين، ليجد نفسه مرة أخرى في باريس. يعرف الكاتب سجن بربروس بأنه معتقل كان يُساق إليه الجزائريون لمجرد وشاية كاذبة أو تهمة ملفقة أو قرار إداري لا يستند إلى أي إثبات .

يصف هنري علاق هذا السجن قائلاً: " في هذا السجن الذي يعجّ بالسجناء، كل زنزانة مترعة بالألم. وإن أردت أن أروي ما حصل لي شخصياً من أعمال التعذيب، فإني سأشعر بالحجل من نفسي. ففي الطابق الأرضي من السجن، قسم المحكومين عليهم بالإعدام وكان عددهم ثمانين سجيناً مغلولي الأرجل بالحديد. كنا نعيش على وتيرة حركاتهم وسكناتهم. لم يكن

فيهم واحد لا يعود مساءً إلى الحصيرة التي يفتريتها لينام وهو يتصور كيف سيطلع عليه صبح رهيب أو يحلم بكل ما لديه من قوة الأمل ألا يحصل له أي مكروه. ومع ذلك كانت تتصاعد من الطابق الأرضي بالذات كل يوم أغنيات رائعة تنبض بما حناجر هؤلاء الأبطال الذين هم قلب الشعب الجزائري المكافح من أجل حريته<sup>21</sup>.

يشير إلى تلك الحالة التي كانت تصيب السجناء لحظة صعود أحد المناضلين إلى منصة الإعدام، وهم يرددون نشيد من جبالنا يعتبر كتاب هنري علاق أحد المفاتيح المهمة التي ساهمت في التعريف بحرب التحرير الجزائرية، إذ أنه حينما صدر الكتاب كان مؤلفه يقبع في السجن الفرنسية، مما دفع بسارتر في مقالة له بالقول 'الهدوء هو نتيجة شجاعة الضحية، تواضعها ووضوحها تمهيننا لكشف الغطاء، علاق ينتزع من سبات الليل العذاب الذي كان يخفيه'<sup>22</sup>.

والحقيقة التي كان يريدتها الكاتب هي فضح هذه المعاملات الوحشية، وأنه يرى بأن فرنسا كانت تتلقى على وجهها ما لم تجرأ على الاعتراف به، وكان علاق يأمل أنه من الضروري ومن المفيد أن نكافح من أجل التعريف بما تعنيه هذه الحرب، أصلها، جذورها، أسباب التكاليف عليها من مختلف الحكومات الفرنسية المتعاقبة والتي جعلتها ترفض الاعتراف بحقوق الجزائريين<sup>23</sup>.

ثم يواصل قائلاً: "وعليه نساعد الشباب الذين تركوا قصدا في الجهل على معرفة هذا الماضي القريب، وأخذ الدروس منه للمستقبل، مستقبل مليء بالتهديدات والعواصف التي ينبغي مواجهتها، لأنه لا يستبعد أن تبرز نزاعات أخرى، وهي كثيرة الآن، هنا أو هناك في إحدى أرجاء العالم'<sup>24</sup> ولعل أحسن شهادة نحتم هي شهادة رفيقه المناضل كريستيان بوينو الذي قاسمه النضال والزمانة والتعذيب، إذ يؤكد 'فقد تعرفت على هنري علاق ... إنه صاحب بصيرة ووعي جمع بين الشجاعة والتواضع. يملك مناقب نادرة، ولكنها من مقتضيات انتمائه إلى ما يسميه هو نفسه، فئة النعال السوداء أي الأوروبيين الذين اختاروا أن يساندوا الجزائريين في كفاحهم في سبيل كرامتهم واستقلالهم، مهما كانت النتائج<sup>25</sup>.

ثم يواصل 'شرع في العمل أي في تأليف كتابه وأخذ يكتب دون توقف، في مكان معزول من الزمانة، كان يكتب عدة صفحات في اليوم، ذلك الكتاب الذي لعب دورا هاما في الكفاح الوطني' نقل هذا الكتاب إلى عدة لغات، من بينها اللغة العربية، حيث تمت ترجمته من طرف كل من الأستاذة عايدة إدريس، ووالدها سهيل إدريس تحت عنوان 'الجلادون أو الاستجاب'، صدر في بيروت، عن منشورات دار الآداب سنة 1960، أي بفترة وجيزة بعد نشره باللغة الفرنسية، كما حوّل إلى مسرحية، وهناك الكثير من الكتابات التي سارت على منواله يحكي أصحابها شهاداتهم ومعايشتهم في جحيم العذاب الذي كانت يديره الضباط الفرنسيين على مستوى عال من الحكومة الفرنسية.

كما تتطرق إلى فضح المعاملات الاستعمارية وتوق الشعوب إلى الانعتاق والحرية والاستقلال، وبعد استقراره في باريس، انخرط هنري علاق في الحزب الشيوعي الفرنسي وبقي مناضلا فيه حتى وفاته، كما عمل صحافيا بجريدة لومانيتي لسان هذا الحزب من 1966 إلى غاية 1980.

#### وفاة هنري علاق وردود الفعل:

توفي هنري علاق يوم الأربعاء 17 جويلية 2013 في باريس عن عمر يناهز 92 سنة، وقد تناولت وسائل الإعلام خبر وفاته بإسهاب، جاء في بيان لوكالة الأنباء الجزائرية أن "هنري علاق ناضل طوال حياته من أجل كشف الحقيقة" 26، أشار الرئيس الفرنسي إلى أن هنري علاق في بيان نشرته جريدة الإنسانية الفرنسية في تعازيه الخالصة لأقارب الفقيد، أن هنري علاق "

كان صحفيا كبيرا بجريدة 'الجي ريبوبليكان' التي أدارها قبل انتقاله إلى جريدة 'لومانيتي' التي كان أمينها العام وتعامل معها إلى غاية 1980، مضيفا أنه "ظل دائما وفيا لمبادئه وقناعاته" 27.

وفي رد فعل لها إثر رحيل الفقيد، قالت المجاهدة الجزائرية لويزات إيغيل أحرز التي كانت من ضحايا التعذيب الذي مارسه القوات الفرنسية خلال الثورة التحريرية، أن الصحافي الفرنسي الذي يحمل الجنسية الجزائرية أيضا والناشط الشيوعي، ناضل دائما من أجل 'القضايا العادلة'

وأشارت إيغيل أحرز التي أعادت في سنة 2000 فتح النقاش حول التعذيب خلال حرب تحرير الجزائر' أشعر بحزن عميق لأن هنري علاق كان أخي الروحي وأخي في الكفاح'، مضيفة في هذا الصدد، 'كانت تربطنا قضية مأساوية هي التعذيب خلال حرب الجزائر، وسأفعل كل شيء من أجل تسمية شارع أو مبنى باسمه في الجزائر' 28.

وذكر مدير صحيفة 'Algerie Républicaine' زهير بسة، أن هنري علاق كان "مناضلا فريدا لا يوجد مثله الكثيرون في أيامنا، وصارع الجلطة الدماغية التي أصيب بها قبل عام حتى وفاته"، وأوضح بسة، أنه التقى علاق آخر مرة في 7 جويلية 2012 في باريس لإحياء الذكرى الخمسين لاستقلال الجزائر، وألقى خلالها كلمة رغم تعبته الشديد" 29.

#### خاتمة:

هذه الشهادات تبين وقوف أصحابها مع ثورة التحرير الجزائرية، كما تروي بطولات إنسانية رائعة، وكانت هذه الكتابات بمثابة سلاح قام أصحابها بتعرية الواقع به، يفضح المسكوت عنه، وبالتالي كشف الممارسات غير الإنسانية المخالفة تماما لما يروق للفرنسيين ترداده، من احترام حقوق الإنسان، والدفاع عن كرامته، هذه الشهادات تثبت العكس تماما لأنها تكشف عن معاملة الإنسان بوحشية تنتسب إلى قرون خلت، وهذا رقم القرارات التي اتخذت والتي تنص على حرية الإنسان، هكذا بعد صراع مع المرض يرحل المناضل هنري علاق تاركا وراءه مجموعة من الكتب التي تروي تجربته وتنديده بالعذاب، ومساندته للقضايا العادلة وعلى رأسها القضية الفلسطينية.

#### الهوامش:

- 1- عبد المجيد عمراني: النخبة الفرنسية المثقفة والثورة الجزائرية، مكتبة مدبولي، القاهرة، ص.123.
- 2- المرجع نفسه، ص.125.
- 3- رشيد خطاب: الخاوة والرفاق، قاموس بيوغرافي للجزائريين ذوي الأصل الأوروبي واليهودي والحرب التحريرية الجزائرية 1954-1962، جار خطاب، 2013، ص.32.
- 4- أدب السجون مصطلح يعني تلك الكتابات التي ألقت في السجون، وهي تعتبر من بين أصدق أنواع الكتابة، سواء كانت نثرا أو شعرا، لأنه إبداع صادر من رحم المعاناة، ويعرفه الروائي المغربي مصطفى لغتيري بأنه "الكتابات التي حاولت ملامسة تجربة الاعتقال السياسي إبداعيا، أي أنها اتخذت من الكتابة وسيلة لتصفية الحساب مع تجربة إنسانية ووجودية ونفسية مريرة، قد يكون المرء قد عاشها فعليا أو سمع تفاصيلها من أحد السجناء، أو هي فقط عبارة عن تجربة متخيلة لها ما يدعمها في الواقع، مما حدث لكثير من السجناء وتناقلته الألسنة أو وسائل الإعلام، أنظر: حسن الأشرف: أدب السجون بالمغرب.. للحقيقة وجهان، العربي الجديد، 2015، ص.32.
- 5 -Henri Allag : La Question, Paris minuit 2008. P. 21.
- 6 - Les temps des d'Algérie, Retour sur 'La Question', Quarante ans après la guerre d'Algérie ,entretien avec Gilles Martin Paris. P.6.
- 7- Ibid, p.110.
- 8 - Henri Allag : Op-cit.p.16.
- 9 - Les temps des d'Algérie: Op-cit, p.8.
- 10- رافانيليا برانش: التعذيب وممارسات الجيش الفرنسي أثناء الثورة التحريرية، تر أحمد بن محمد بكلي، دار أمديكال للنشر، الجزائر، 2010، ص 5، 7.
- 11 - الضابط شاربونيه، هو أحد المضلين الفرنسيين، عذب مجموعة من المناضلين على رأسهم موريس أودان وهنري علاق، عرف بقساوته وبالتفني في تعذيب المناضلين، فيلالي مختار: أساليب القمع والتعذيب الوحشي والحرب النفسية ضمن مخطط القضاء على الثورة الجزائرية أحداث وتأملات، مطابع عمار قري، باتنة، 1994، ص. 51.
- 12 -Henri Allag : Op-cit.p.48.
- 13 - Ibid, p.32.

14 - Ibid, p.42.

15 - Ibid, p.69.

16 - الجنرال ماسو، لعب دورا خطيرا ضد حرب التحرير في الجزائر، كان رئيس القوات الفرنسية في ألمانيا، وشارك في الحرب في فيتنام، والجزائر حيث كان مسؤولا عن الفرقة العاشرة للمظليين الفرنسيين، أنظر: Joseph Valynseele et Denis Grando: Le général Massu, dans À la découverte de leurs racines, t. I, L'Intermédiaire, le soldat méconnu, Paris, 1993 des Chercheurs et Curieux, 1988.

17 - Ibid, p.70.

18 - Ibid, p.109.

19 - Ibid, p.90.

20 - Ibid, p.107.

21 - Ibid, p.111.

22 - Les temps des d'Algérie: Op- cit, p.6.

23 - Ibid, p.7.

24 - Ibid, p.7.

25 - Olivier de Makonda : Un algérien de souche européenne dans la guerre d'Algérie. Buuono. Paris.1991.p.42.

26 - وكالة الأنباء الجزائرية يوم الأربعاء 17 جويلية 2013 .

27 - L'humanité : henri Allag le prix de la vérité, 18 juillet 2013, p. 1,2.

28 - جريدة المجاهد، ع 18 جويلية، 2013، ص.3.

29 - Alger Républicaine : Huit heures avec hevri Alleg, dimanche 19 octobre 2014, p.3.